صفات التوسط في الفكر الصوفي (الميم والنون) انموذجا

Attributes of mediation in Sufi thought (M and N) as a model

أ. د. عادل نذير بيري الحساني

Prof. Dr. Adel Nazir Berry Al-Hassani

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Karbala University/ College of Education for Human Sciences

م. كريم سوادي معين ناصر

NS. Karim Sawadi Moeen

مديرية تربية كربلاء المقدسة

Holy Karbala Education Directorate

الكلمات المفتاحية: الصوفي، الفكر، الميم، الأصوات، التوسطة.

Keywords: Sufi, thought, meme, sounds, moderation.

الملخص

يؤلف التصوف اتجاهًا فنيًا وفكريًا ومذهبًا اعتقاديًا يميزه عن غيره قديمًا وحديثًا، فالمتصوفة يرون ان النصوص على ظاهرها ولكنها في الوقت ذاته تتضمن اشارات خفية الى معانٍ دقيقة، واساس ذلك ان المتصوفة يعتقدون أن القرآن ظاهرًا وباطنًا، فالظاهر والباطن عندهم شيئان مترابطان يكملان بعضهما بعضا.

وقد حاول عدد من العلماء استيحاء الدلالة من خلال الاصوات وذلك عبر ما يرتبط به الصوت من صفات عامة أو خاصة، أضافة الى مخرج الصوت، بل رصد لكيفية انتاج الدلالة من خلال تأويل ابن عربي للقرآن الكريم.

Abstract:

Sufism constitutes an artistic and intellectual trend and a belief doctrine that distinguishes it from others، ancient and modern. The Sufis see that the texts are apparent، but at the same time they contain hidden references to precise meanings Many scholars have tried to infer the significance through sounds، through the general or specific characteristics associated with the sound، in addition to the sound's output، but rather an observation of how the significance is produced through Ibn Arabi's interpretation of the Holy Qur'an.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

لعل أهم ما يميّز الدرس اللغوي القديم أنه درس اللغة في أثناء الاستعمال، فاللغة هي وسيلة من وسائل التعبير ونقل الأفكار، وتعد الوسيلة الأساس للاتصال البشري فهي ليست مجرد نظام، أو نسق مستقل عن الإنسان، بل هي كما عرفها ابن جني (اصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم). فاللغة فعل لغوي اجتماعي، وجوهر اللغة أصوات، والأصوات غايتها تأدية الغرض الذي هو المعنى، ويتحدد مفهوما الصوت والمعنى حسب طبيعة كل لغة، فراح العرب يلتقطون الكلمات العربية، ويرصدون طريقة نطقها، وصفات أصواتها ومخارجها، ويعزى هذا الاهتمام إلى تلك الصلة الوثيقة التي تربط علم الأصوات بتجويد القرآن وترتيله.

فأدى ذلك إلى اتساع كل العلامات اللغوية وغير اللغوية، وكل الإشارات، وكل ما يعنيه القول، وكل ما يمكن أن يحمله بصدقه ومجازه، فتتجاوز الدلالة الصريحة إلى ما وراء القول للوصول إلى المعنى، فالعلاقة بين الاصوات ومدلولاتها طبيعية ذاتية، فاستحوذت هذه العلاقة على اهتمام المفكرين واللغويين منذ القديم، ولا تزال حتى عصرنا الحالي، لذلك ارتأيت أن أسهم بهذا المجهود لأوضح الصلة بين الصوت والمعنى أي محاولة استثمار هذه الصلة في ايضاح المعنى وتحليل النصوص القرآنية، ورأى الباحث أن يقسم البحث على مبحثين، الأول: يتضمن دلالة الصفة الصوتية لحرف " النون " في الفكر الصوفي.

وتكفل المبحث الآخر بإبراز دلالة الصفة الصوتية لحرف " الميم " في الفكر الصوفي.

فالصلة بين اللفظ والمعنى تركز على استيحاء الدلالة من البنية الصوتية للكلمة الواحدة، من حيث مخارج الأصوات وصفاتها والتغيرات التي تطرأ عليها، وبعض الظواهر الصوتية الأخرى، لذلك حرصت في هذا العمل على إظهار التوافق والتناسب بين البنية الصوتية للآيات القرآنية ودلالاتها المختلفة، وبيان مدى هذا التضافر في تناسق الآيات القرانية وانسجامها.

المبحث الأول:

النون:

الحرف الخامس والعشرون في الترتيب الهجائي، والرابع عشر في ترتيب الأبجدية العربية، ويساوي عدديا ٥٠ في حساب الجمل[1]. وفي الترتيب الصوتي القديم يأتي حرف النون في الترتيب الثاني والعشرين عند الخليل، والرابع عشر عند ابن جني وفي الترتيب الصوتي الحديث يأتي حرف النون في الترتيب الحادي عشر عند الطيب البكوش، والثالث عشر عند علماء الصوتيات في مصر[2].

وحرف النون من حروف المباني في الكلم العربي وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مرة واحدة ضمن الحروف المعجزة في قوله تعالى:(نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) القلم:1 **الاستخدامات المعجمية:**

في الجذور الثلاثة العربية، بمعجم الصحاح، يُسبق حرف النون بأي حرف من حروف العربية ولا يتبعه حرف " ل ". وأقوى حرف سابق لحرف النون هما حرفا: الدال، العين على استواء. وأقوى حرف لاحق لحروف النون هو حرف: الباء[3].

النون صفته الصوتية:

صوت مجهور متوسط بين الشدة والرّخاوة، ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين محركا الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولا، حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسدّ بهبوطه فتحة الفم، ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثا في مروره نوعا من الحفيف لا يكاد يُسمع[4].

دلالته الصوفية[5]:

يقول الشيخ الأكبر ابن العربي (ت638هـ):

نُون الوجـودِ تَدُلُّ ذاتها في عَينها عينًا على معبودِها

فَوجودُها مِن جُوده ويمينه وجميعُ أكوان العُلى من جودِها

فَانظُر بعينكَ عينِ وجُدها من جُودها تعثُّرٌ على مفقُودها

ويقول ابن عربي في النون:" هو اسم لما به من ظهور الأشياء وعملها، وإدراكها، وهو سبب لما به القيام من الظهور، ومن معناه اسمه تعالى: النور.ثم هو اسم لكل ما يظهر مما خفي: باطنا: كالعلم في الإدراك. ظاهرا: كالنيرين للعلوم فيما به يشاهد، وكالمداد فيما به يكتب، وكل آية يتوصل بها الى إظهار صورة تكون تماما [6]".

في الاصطلاح الصوفي[7]:

الشيخ ابو الفتوح يحيى بن حبش شهاب الدين السهروردي (ت586هـ)

يقول: " ن (باعتبار التصوف): نزوع إلى المطالب لأجل ثمرات المأرب ".

الشيخ الأكبر ابن عربي

النون: هو شأن الحق، أنزله الله تعالى من النَفَس إلى النَفْس في الميزان.

ويقول: " النون: سر عظيم، هو باب الجود والرحمة " ويقول: " النون: الدواة، والنون الحوت، والنون الحرف، تنزل في هذا الحجاب إلى أرضه وسمائه وحدوده، فأظهر نور الله فطرته في حدوده، وأظهر نفس الله خلقته في سمائه، وأظهر نفس الرحمن رحمته في أرضه " ويقول: " النون: عالم الإجمال".

الشيخ محمد بهاء الدين البيطار

نون: هي القوة الإسرافيلية، ظاهرها لوح الصور، وباطنها روح تلك الصور، النافخ فيها إسرافيل {عليه السلام}، فهو مظهر الاسم الحي. فبالنفخة الأولى تبطن الحياة الظاهرة، وبالنفخة الثانية تظهر الحياة الباطنة[8].

الدكتور عبد المنعم الحفني

يقول: "النون (عند الصوفية): عبارة عن انتقاش صور المخلوقات بأحوالها وأوصافها كما هي عليه جملة واحدة، وذلك الانتقاش هو عبارة عن كلمة الله لها كن، فهي تكون على حسب ما جرى به القدر في اللوح المحفوظ الذي هو مظهر لكلمة الحضرة "[9].

الدكتور عبد الحميد صالح حمدان

يقول: " حرف النون: وهو حرف نوراني وسر أمري، والاسم منه نور " [10].

دلالة الحرف في النص القرآني

قال تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ)(القلم: 1. 3).

(ن) هو النفس الكليّة (والقلم) هو العقل الكلي والأول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة بأول حروفها، والثاني من باب التشبيه إذ تنتقش في النفوس صور الموجودات بتأثير العقل كما تنتقش الصور في اللوح بالقلم (وما يَسْطرون) من صور الأشياء وماهياتها وأحوالها المقدّرة على ما يقع عليها، وفاعل ما يسطرون الكتبة من

العقول المتوسطة والأرواح القدسية وإن كان الكاتب في الحقيقة هو الله تعالى، لكن لما كان في حضرة الأسماء نسب إليها مجازاً، أقسم بهما وبما يصدر عنهما من مبادئ الوجود وصور التقدير الإلهي ومبدأ أمره ومخزن غيبه لشرفهما وكونهما مشتملين على كل الوجود في أول مرتبة التأثير والتأثر ومناسبتهما للمقسم عليه. وما أنت بمستور العقل مختلّ الإدراك في حالة كونك منعماً عليك بنعمة الاطلاع على هذا المسطور بهما فإنه لا أعقل ممن اطلع على سرّ القدر وأحاط بحقائق الأشياء في نفس الأمر[11].

فقد هيمن صوت النون على الآية الكريمة بنسبة كبيرة عن باقي الاصوات حيث تكرر حوالي ثماني مرات أسهم ذلك في تكثيف المعنى، وتعميق المدلول لأنه من الاصوات الاساسية، فلا غرابة في ذلك كون النون من الأصوات المجهورة، ولأن الله سبحانه وتعالى في حديثه ضمن سياق الآية جاء به كون الامر يحتاج الى قوة في الخطاب. فادى ذلك الى حصول ارتباط منطقي بين صفة الصوت وبين دلالته التأملية، فقولُه تعالى: "ن والقلم وما يسطرون"، وهو قَسَمَ بالعلم والتعليم والكتابة التي من شأنها الرفعة والخروج إلى النور بعد معاناة الظلمات فالنون حرف نوراني وسر أمري والاسم منه نور، والنون الدواة التي كتب الذكر منها، والقلم الذي كتب به الذكر الحكيم. فتناسقت صفة الصوت مع مضمون الآية الكريمة مما ادى الى ترابط الآية وانسجامها.

قال تعالى: ﴿وهُمْ يَصطرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صالِحاً غَيرَ الَّذِي كنَّا نَعْمَلُ أَو لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظالِمِينَ مِن نَّصِير﴾ (فاطر: 37).

وقالوا بألسنة أحوالهم وأقوالهم عند اتّصافهم بجميع الصفات الحميدة حالة البقاء بعد الفناء (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) اللازم لفوات الكمالات الممكنة بحسب الاستعدادات بهبته لنا إياها في هذا الوجود الحقاني إنّ ربنا لغفور شكور جزاؤنا منه أوفى وأبقى مما نستحقه بسعينا الذي أحلنا دار الإقامة الدائمة التي لا انتقال منها بوجه في هذا الوجود الموهوم من عطائه الصرف وفضله المحض لا يمسّنا فيها نصب بالسعي والانتقال ولا يمسّنا فيها لغوب بالسير والترحال. والذين كفروا المحجوبون منك بالإنكار، الذين لا يقبلون الكتاب ولا يرثونه لبعدهم عنك في الحقيقة، فلا تقارب ولا تواصل بينك وبينهم. لهم نار جهنم يعذبون فيها بأنواع الحرمان والآلام دائماً لا يقضي عليهم فيموتوا ويستريحوا ولا يخفّف عنهم من عذابها فيتنفسوا [12].

تكرر صوت النون في الآية الكريمة حوالي اثنتا عشرة مرة، ولو نظرنا الى الآية نرى ان المشهد فيها مشهد عذاب والم وهم في حالة فزع وخوف من نار جهنم فهو مشهد من مشاهد يوم القيامة، ووضحت كلمة "يصطرخون" الصراخ المستمر، فجاء صوت النون في اخره ليمثل لنا رنة هذا الصراخ المدوي في الآية الكريمة بمعنى الصياح والنداء والاستغاثة، وعليه فقد جاء صوت النون ليسهم في تكثيف المعنى، وتعميق المدلول عن طريق استظهار الحالة النفسية لهم وهم في حالة البكاء، والألم، والحسرة، وهي معانٍ تنسجم مع صوت النون، ولعل هذا المعنى ما دفعهم لتسميته بصوت النواح[13]. وهذا كله حقق تناسقا جماليا رائعا جعل من المتلقي يستشعر المعنى عن طريق تناسب الأصوات وانسجامها مع الدلالة.

قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُراؤُنَ * وَيَمْنَعُونَ الْماعُونَ) (الماعون: 7).

نزلت الآية على جهة التوبيخ، والتعجّب من شأن تظلّم اليتيم من المنافقين. "فويل" لهم أي: للموصوفين بهذه الصفات الذين إن صلوا غفلوا عن صلاتهم لاحتجابهم عن حقيقتها بجهلهم وعدم حضورهم، والمصلين من باب وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بأن أشرف أفعالهم وصور حسناتهم سيئات وذنوب لعدم ما هي به معتبرة من الحضور والإخلاص. وأورد على صيغة الجمع لان المراد بالذي يكذب هو الجنس. الذين هم يراؤون لاحتجابهم بالخلق عن الحق ويمنعون الماعون الذي يعان به الخلق ويصرف في معونتهم من الأموال والأمتعة وكل ما ينتفع به لكون الحجاب حاكماً عليهم بالاستئثار بالمنافع وحرمانهم عن النظر التوحيدي واحتجابهم بالمطالب الجزئية عن الكلية وعدم اعتقادهم بالجزاء، فلا محبة لهم للحق للركون إلى عالم التضادّ والهبوط إلى طبيعة الكون والفساد والاحتجاب عن حقيقة الاتحاد ولا عدالة في أنفسهم للاتصاف بالرذائل والبعد عن الفضائل ولا خوف ولا رجاء لغفلتهم عن الكمال والجهل بالمعاد فلا يعاونون أحداً فلن يفلحوا أبداً [14].

لاشك أن حضور النون باعتباره صوتاً مجهوراً في الآية الكريمة حوالي تسع مرات قد صبغ الدلالة بإيحاءات وإيماءات حول التهديد والوعيد من الله سبحانه وتعالى الى المنافقين، وهذا الأمر يحتاج الى أصوات ذات وضوح سمعي لغرض التوصيل ودقة السمع فصوت النون ذو الواقع القوي المؤثر باعتباره صوت مجهور ادى الى ايضاح المعنى الغريب ولفت الانتباه لخطورته عليهم فارتبطت الاصوات المجهورة في الآية الكريمة بالتهديد والانذار لهم، أمّا صفة " ن "(باعتبار التصوف): نزوع إلى المطالب لأجل ثمرات المأرب، وهذا ماقام به المنافقون حيث يقفون في الظاهر موقف العباد وفي الباطن قلوبهم في الدنيا وملذاتها، فجاءت صفة النون موافقة لمضمون الآية الكريمة ومناسبة لسياقها وانسجامها.

قال تعالى: (طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى) (طه: 1،2).

"طه" الطاء إشارة إلى الطاهر، والهاء إلى الهادي. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم من شدّة حنوه وتعطفه على قومه لكونه صورة الرحمة ومظهر المحبة، تأسّف من عدم تأثير التنزيل في إيمانهم واستشعر البقية كما ذكر في قوله: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ) (الكهف، الآية:). وزاد في الرياضة فكان يحيي الليالي بالتهجد وبالغ في القيام حتى تورّمت قدماه فأخبر أن عدم إيمانهم ليس من جهتك بل من جهتهم وغلظ حجابهم أعدم استعدادهم لا لبقاء صفات نفسك أو بقية أنانيتك أو وجود نقصك وقصورك في الهداية كما استشعرت فلا تتعب نفسك. ونودي باسمين من أسماء الله تعالى دالين على نزاهته عن الأمرين المذكورين وجود البقية أو القصور عن الهداية فقيل: يا طاهر عن لوث البقية، يا هادي(ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وتتعب بالرياضة لكن لتذكير من يلين قلبه ويستعدّ لقبوله بعد صفائك وطهارتك وقد حصل الأمران بحمد الله وكنت كاملاً مكملاً [15].

تكرر صوت النون في الآية الكريمة ثلاث مرات، وهو صوت متوسط بين الشدة والضعف، مائل الى الضعف، فالخطاب هنا يفيض رقة ولطفا، أمّا دلالة هذه الاصوات وترجع الى صفاتها ووقعها في الآذن، ليدل بهذه الاصوات على استعمال المد في صوت النون ماجعل ايقاعه متموجا رخيا، وزاد صوت الغنه مع النون هذا الايقاع عذوبة ورقة.

والنون هو سر عظيم وهو باب الجود والرحمة، ومن معناه تعالى: اسمه النور، والنور اسم من اسماء القرآن، فرسم صوت النون دلالة اللفظة مع معناها والذي ادى الى ايضاح الآية القرآنية وترابطها لأن المقام هو مقام الانبياء والصالحين. ففيه إشارة إلى اهتداء قلبه إلى الله. فطوبى لمن اهتدى بك لأنه أساس الرحمة والمحبة والطهارة، فتناسبة صفة النون مع سياق الاية الكريمة.

قوله تعالى: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ) (التوبة: 92).

منعهم الفقر عن الحراك فالتمسوا من الرسول– صلى الله عليه وسلم– أن يحملهم معه ويهيى أسبابهم، ولم يكن في الحال للرسول عليه السلام سعة ليوافق سؤلهم، وفى حالة ضيق صدره– صلى الله عليه وسلم– حلف إنه لا يحملهم، ثم رآهم صلى الله عليه وسلم يتأهبون للخروج، وقالوا في ذلك، فقال عليه السلام: إنما يحملكم الله.

فلمّا ردّهم الرسول– صلى الله عليه وسلم– عن الإجابة في أن يحملهم رجعوا عنه بوصف الخيبة كما قال تعالى: " تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ"، شقّ عليهم أن يكون على قلب الرسول– صلى الله عليه وسلم– بسببهم شغل فتمنّوا أن لو أزيح هذا الشغل، لا ميلا إلى الدنيا ولكن لئلا تعود إلى قلبه– عليه السلام– من قبلهم كراهة، ثم إنّ الحقّ– سبحانه– لمّا علم ذلك منهم، وتمحضت قلوبهم للتعلّق بالله، وخلت عقائدهم عن مساكنة مخلوق تدارك الله أحوالهم فأمر الله رسوله عليه السلام أن يحملهم[16].

يشيع صوت النون المتوسط بين الشدة والرخاوة في هذه الآية حوالي خمس مرات إذ تُوحي الغنّة في الآية إلى حزن هؤلاء الصّحابة، وأساهم وإيلامهم الشّديدين لقعودهم عن الجهاد كراهةً وقهرًا، إذ لم يجدوا ما ينفقون للخروج إليه"فأنينُ النّون أسهم في أبراز وحصول الارتباط بين صفة الصوت وسياقاته الحزينة فالنون سر عظيم وهو باب الجود والرحمة.

قال تعالى: (وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ) (يس: 9).

أغرقناهم اليوم في بحار الضلالة، وأحطنا بهم سرادقات الجهالة. وفي الآخرة سنغرقهم فى النار والأنكال، ونضيّق عليهم الحال، بالسلاسل والأغلال.

"فَأَغْشَيْناهُمْ"، أعميناهم اليوم عن شهود الحجّة، ونلبّس عليهم في الآخرة سبيل المحجّة، فيتعثّرون في وهدات جهنم داخرين، ويبقون في حرقاتها مهجورين، مطرودين ملعونين، لا نقطع عنهم ما به يعذّبون، ولا نرحمهم مما منه يشكون تمادى بهم حرمان الكفر، وأحاطت بهم سرادقات الشقاء، ووقعت عليهم السّمة بالفراق[17].

لقد أسهم صوت النون في الآية الكريمة في بيان ما وصلت اليه أوضاع الانسان من ضعف وضلالة فقد ورد ست مرات، وهو صوت متوسط بين الشدة والضعف وهو شأن الحق أنزله الله من النفس الى النفس، يقول ابن عربي "النون هو اسم لكل ما يظهر مما خفي: باطنا: كالعلم في الإدراك. ظاهرا: كالنيرين للعلوم فيما به يشاهد، وكالمداد فيما به يكتب، وكل آية يتوصل بها الى إظهار صورة تكون تماما [18]". وهذا يدل على اسهامه في تكثيف المعنى فتصف الآية الكريمة اغلاق الابواب عليهم، لأن القلب هو أصل الأبواب، وهو المشعر الإلهي الذي هو محل الإلهامات، وقد حجبوا عنه بختمه، وكذا السمع والبصر اللذان هما بابان للفهم والاعتبار للإنسان، وقد حرموا عن جدواهما، لامتناع نفوذ المعنى فيهما إلى القلب، فلا سبيل لهم في الباطن إلى العلم الكشفي الباطني ولا في الظاهر إلى العلم التعليمي الكسبي، فحبسوا في سجون الظلمات وعظم عذابهم وحجابهم. والفريق الثاني من الأشقياء هم الذين سلب عنهم الإيمان مع ادعائهم له، لأن محل الإيمان هو القلب لا اللسان [19] 0فتحقق الغرض المرجو من صوت النون وتناسبه مع سياق الاية وانسجامها.

قال تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) (الحجر:21).

خزائنه في الحقيقة مقدوراته، وهو– سبحانه – قادر على كل ما هو مرسوم بالحدوث. ويقال خزائنه فى الأرض قلوب العارفين بالله، وفى الخزانة جواهر من كل صنف فحقائق العقل جواهر وضعها فى قلوب قوم، ولطائف العلم جواهر بدائع المعرفة، وأسرار العارفين[20].

أي: ما من شيء في الوجود إلا له عندنا خزانة في عالم القضاء أولاً بارتسام صورته في أمّ الكتاب الذي هو العقل الكليّ على الوجه الكليّ، ثم خزانة أخرى في عالم النفس الكليّة وهو اللوح المحفوظ بارتسام صورته فيه متعلقاً بأسبابه، ثم خزانة أخرى بل خزائن في النفوس الجزئية السماوية المعبّر عنها بسماء الدنيا ولوح القدر بارتسام صورته فيها جزئية مقدّرة بمقدارها وشكلها ووضعها "وما نُنزله" في عالم الشهادة "إلا بقَدرٍ مَعْلوم" من شكل وقدر ووضع ووقت ومحل معينة واستعداد مختص به في ذلك الوقت[21].

في هذه الآية الكريمة يبرز صوت النون وقد تكرر في الآية ست مرات وبالرجوع الى صفات صوت النون ومخرجه، فانه صوت تغلب عليه الوسطية بين الشدة والرخاوة وهذا مايلزم حالته الجود والرحمة فأظهر نور الله فطرته في حدوده، وأظهر نفس الله خلقته في سمائه، وأظهر نفس الرحمن رحمته في أرضه، فالعالم كله جوده ورحمته وخزائن جوده ورحمته يجب أن يكون قبل الجود والرحمة، فهي أمور نورية ولمعات جمالية وجلالية، فأدى استثمار صفات صوت النون الى ايضاح المعنى والترابط في الآية.

قال الله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ) القيامة: 19

لا تستعجل في تلقّف القرآن على جبريل، فإنّ علينا جمعه في قلبك وحفظه، وكذلك علينا تيسير قراءته على لسانك، فإذا قرأناه أي: جمعناه في قلبك وحفظك فاتبع بإقرائك جمعه. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ، نبيّن لك ما فيه من أحكام الحلال والحرام وغيرها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعجل في التلقف مخافة النسيان، فنهى عن ذلك، وضمن الله له التيسير والتسهيل[22].

هيمن حرف النون على هذه الآية بنسبة كبيرة حيث تكرر حوالي عشر مرات، وهذا يدل على ايحاءات واشارات منها إشارة إلى العلم الإجمالي المعروف عند العلماء بالعقل البسيط وهو العلم بجميع الموجودات على وجه بسيط إجمالي وذلك العقل هو فعال تفاصيل العلوم النفسانية. وصور الحقائق المرسومة فيه من قبل قلم الحق الفعال لصور العلوم، وتلك الصور أو محلها هو الكتاب الفرقاني، فهذا المصحف الذي بين أظهرنا قرآن بوجه وفرقان بوجه، وهو كلام الله بوجه وكتابه بوجه، وأن المنزل على سائر الأنبياء كتابه لا كلامه، وأن ذلك فرقان لا قرآن. إذا علمت هذا فاعلم، أن من أسمائه نور، لأنه نور عقلي ينكشف به أحوال المبدإ والمعاد، يتراءى به حقائق الأشياء، ويهتدى به في سلوك يوم القيامة وطريق الجنة[23]. فإن النون سر عظيم فهو اسم لما به من ظهور الأشياء وعملها، وإدراكها، وهو سبب لما به القيام من الظهور، ومن معناه اسمه تعالى: النور. والنور اسم من اسماء القرآن، فحصل ارتباط منطقي بين صوت النون ودلالة الآية الكريمة ادى الى الترابط والانسجام.

قال تعالى: (إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ) (الأنبياء : 98)

"وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ": أي الأصنام التي عبدوها، ولم تدخل فى الخطاب الملائكة التي عبدها قوم، ولا عيسى وإن عبده قوم لأنه قال:

"إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ" ولم يقل إنكم ومن تعبدون. فيحشر الكافرون فى النار، وتحشر أصنامهم معهم. والأصنام جمادات فلا جرم لها، ولا احتراقها عقوبة لها، ولكنه على جهة براءة ساحتها، فالذنب للكفار وما الأصنام إلا جمادات[24].

أي: كل عابد منكم لشيء سوى الله محجوب به عن الحق، مرميّ مع معبوده الذي وقف معه في طبقة من طبقات جهنم، البعد والحرمان على حسب مرتبة معبوده لهم فيها زفير من ألم الاحتجاب وشدّة العذاب واستيلاء نيران الأشواق وطول مدة الحرمان والفراق "وهم فيها لا يسمعون" كلام الحق والملائكة لتكاثف الحجاب وشدّة طرق مسامع القلب لقوّة الجهل كما لا يبصرون الأنوار لشدّة انطباق الظلمة وعمى البصيرة[25].

فحرف النون تكرر في الآية الكريمة ثماني مرات وهو من حروف الغنة ولعل صوت النون أوضح الاصوات، فأظهر نور الله فطرته في حدوده، وأظهر نفس الله خلقته في سمائه، وأظهر نفس الرحمن رحمته في أرضه. فصوت النون يتناسب مع ما جاء عليه سياق الآية من ألم وعذاب وطول مدة الحرمان والفراق فهي تدل على أن

الأمور الدنيوية لا يمكن أن يكون لها وجود يوم القيامة، وأن النفس الآدمية ما دامت من جنس هذه الأكوان الدنيوية، فهي حطب جهنم وصلى النار، كما قال: (إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) وإنما يستحق النعيم ويستأهل لجوار الله والجنة من تبدل وجوده، وصار جوهرا علميا بعد ما كان جوهرا دنيويا، وذلك بمزاولة اكتساب العلوم وملكة التجريد[26]. فظهر أن محبة الدنيا منشأ الكفر والاحتجاب ومادة الشقاوة والعذاب، وأن بناء التنعم في الآخرة والحياة الدائمة على العلم والمعرفة، فجاءت دلالة صوت النون موضحة معنى الاية.

المبحث الثاني:

الميم[27]:

الحرف الرابع والعشرون في الترتيب الهجائي العربي، والثالث عشر في حساب الجمل، ويساوي عدديًا الرقم ٤.

وفي الترتيب الصوتي القديم يأتي حرف الميم في الترتيب الخامس والعشرين عند الخليل بن أحمد والثاني عند ابن جني.

وفي الترتيب الصوتي الحديث يأتي حرف الميم في الترتيب الثاني عند الطيب البكوش، وعلماء الصوتيات في مصر، وحرف الميم من حروف المباني في الكلم العربي.

الاستخدامات المعجمية:

في الجذور العربية الثلاثية، بمعجم الصحاح، يسبق حرف الميم كل حرف آخر، ولا يتبع بالحرفين التوأم:(ب، ف). وأقوى حرف سابق له هو حرف: الراء، وأقوى حرف لاحق له هو حرف: اللام[28].

صفته الصوتية:

صوت مجهور لا هو بالشديد ولا هو بالرخو، بل مما يسمى بالأصوات المتوسطة، ويتكون حرف الميم بأن يمر الهواء بالحنجرة أولا فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك وفي أثناء تسرب الهواء تنطبق الشفتان تمام الانطباق [29].

دلالته الصوفية[30]:

النون كالميم إن حققت سرهما — في غاية الكون عينا والبدايات
والنون للحق والميم الكريمة لي — بدء لبدء وغايـات لغايـات
فبرزخ النون روح في معارفه — وبرزخ الميم رب في البريات

يقول ابن عربي في الميم: " واعلم أن ما ينتظم بالنون معنى حرف الميم لأنه تمام ما يظهره النون، وهو اسم لتمام ما ينتهي إليه ظهور كالظهور العلي الذي منه اسم الملك، وهو المتجلي للخلق يوم الدين وهو تمام ما تنزلت إليه الإلهية، ولم يقسم الحق تعالى باسم دون الملك كالوزير ونحو... [31] "

في الاصطلاح الصوفي:

الشيخ الأكبر ابن عربي

الميم: هو ناطر الحق، الذي أنزله الله تعالى من السماء إلى الأرض في الماء. و" الميم: من عالم الملك والشهادة والقهر. مخرجه: مخرج الباء.عدده: أربعة وأربعون. بسائطه: الياء والألف والهمزة. فلكه: الأول... يتميز: في الخاصة والخلاصة وصفاء الخلاصة. له: الغاية. مرتبته: الثالثة. ظهور سلطانه: في الإنسان. طبعه: البرودة واليبوسة. عنصره: التراب. يوجد عنه ما يشاكل طبعه. له: الأعراف. خالص كامل مقدس مفرد مؤنس. له من الحروف: الياء، ومن الأسماء كما تقدم "[32].

الشيخ عبد الغني النابلسي

يقول: " ميم الملك: لأنه أول حرف ظهر من الملك، وهو ملك الحق تعالى، جملة العوالم الظاهرة "[33].

الدكتور عبد الحميد صالح حمدان

يقول: " حرف الميم: وهو حرف نوراني، وسر ملكوتي، والاسم منه: ملك، وهو اسم جليل القدر " [34].

دلالة الحرف في النص القراني:

قال تعالى: (وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً) النساء: 13

كلّا، لن يكون لأحد سبيل إلى إضلالك فأنت فى قبضة العزة، وما يضلّون إلا أنفسهم، وما يضرونك بشىء، إذ المحفوظ منا محروس عن كل غير، وإنّ الله سبحانه قد اختصك بإنزال الكتاب، واستخلصك بوجوه الاختصاص والإيجاب، وعلّمك ما لم تكن تعلم، ولم يمن عليك بشىء بمثل ما منّ به على من خصّه به من العلم. ويحتمل أنه أراد به علمه- صلّى الله عليه- بالله بجلاله، وعلمه بعبودية نفسه، ومقدار حاله فى استحقاق عزّه وجماله[35].

تكرر في الآية الكريمة حرف الميم في الآية الكريمة خمس مرات، وهو صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة وهذا يدل على مساهمته في توسيع المعنى وتعميق المدلول، فقد وقعت الإشارة إلى أن تعليم القرآن من قبل الله بأن يتجلى بنور الحكمة الذي هو حقيقة الكلام ونور الإيمان على قلب من كان من عباده الكرام وأحبائه العظام. القرآن خلق النبي (ص)، كما مر وسائر الكتب ليست كذلك. ففيه عظائم الأمور الإلهية التي لا يصل إلى دركه إلا أهل الله خاصة، وفيه كرائم أخلاق الله التي تخلق بها رسول الله (ص): **(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)** وكان صوت الميم مناسبا في الآية الكريمة كونه يدل على محمد (ص)، ويتميز في الخاصة وصفاء الخلاصة وهو حرف نوراني، وسر ملكوتي فناسب سياق الآية مما ادى الى الترابط والانسجام في الاية الكريمة.

قال تعالى: (الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الحشر: 23).

(الملك) ذو القدرة على الإيجاد. (القدوس) المنزّه عن الآفة والنقص. (السلام) ذو السلامة من النقائص، الذي يسلّم على أوليائه، والذي سلم المؤمنون من عذابه. (المؤمن) الذي يصدق عبده في توحيده فيقول له: صدقت يا عبدى. والذي يصدّق نفسه في إخباره أي يعلم أنه صادق. ويكون بمعنى المصدق لوعده. ويكون بمعنى المخبر لعباده بأنه يؤمّنهم من عقوبته. (المهيمن) الشاهد، وبمعنى الأمين، ويقال مؤيمن (مفيعل) من الأمن قلبت همزته هاء وهو من الأمان، ويقال بمعنى المؤمن. (العزيز) الغالب الذي لا يغلب، والذي لا مثيل له، والمستحق لأوصاف الجلال، وبمعنى: المعزّ لعباده. والمنيع الذي لا يقدر عليه أحد. (الجبّار) الذي لا تصل إليه الأيدى. أو بمعنى المصلح لأمورهم من: جبر الكسر. أو بمعنى القادر على تحصيل مراده من خلقه على الوجه الذي يريده من: جبرته على الأمر وأجبرته. (المتكبر) المتقدّس عن الآفات[36].

في هذه الآية يسيطر صوت " الميم " سيطرة تامة، حيث كرر حوالي تسع مرات وبالرجوع الى صوت " الميم " فانه صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، وقد توافق صوت الميم مع حالة الآية فجاء لأنه أول حرف ظهر من الملك، وهو ملك الحق تعالى، في جملة العوالم الظاهرة وهو حرف نوراني، وسر ملكوتي، والاسم منه: ملك، وهو اسم جليل القدر 0فالمجال للفكر فيها أفسح، ونطاق النطق فيها أوسع، لأنها مفهومات عقلية يقع فيها الاشتراك، إلا أنها فيه على وجه أشرف وأعلى، وأن مصداقها في الأول تعالى ذاته بذاته، وفي غيره ليس كذلك.وبذلك ناسب هذا الصوت معنى الاية ومادلة عليه من مظمون واوصاف اتصف بها الله سبحانه وتعالى فأدى الى ترابط الآية مع بعضها البعض.

قال تعالى: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ) (البقرة:18).

صم عن سماع دواعى الحق بآذان قلوبهم، بكم عن مناجاة الحق بألسنة أسرارهم، عمى عن شهود جريان المقادير بعيون بصائرهم، فهم لا يرجعون عن تماديهم فى تهتكهم، ولا يرتدعون عن انهماكهم فى ضلالتهم. ويقال صم عن السماع بالحق، بكم عن النطق بالحق، وعمى عن مطالعة الخلق بالحق. لم يسبق لهم الحكم بالإقلاع، ولم تساعدهم القسمة بالارتداع[37].

تكرر حرف الميم في الآية الكريمة خمس مرات، وهو من حروف الغنة وكذلك حرف النون وهذان الحرفان مما ألفته الآذان بسبب كثرة ورودهما في القرآن الكريم، ويسمى بالأصوات المتوسطة، ويتكون حرف الميم بأن يمر الهواء بالحنجرة أولا فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك وفي أثناء تسرب الهواء تنطبق الشفتان تمام الانطباق، وهو اسم لتمام ما ينتهي إليه. فاحتجاب قلوبهم عن نور العقل الذي به تسمع الحق وتنطق به، وتراه في الظاهر لعدم فوائدها، لانسداد الطرق من تلك المشاعر إلى القلب لمكان الحجاب، فلم يصل إليها نور القلب ليحتفظوا بفوائدها ولم ترد مدركاتها على القلب ليفهموا ويعتبروا[38]. فاسهم صوت الميم في تكثيف المعنى على ان حال هؤلاء الكفار قد بلغوا في الجهل المفرط في الاصرار والجحود على

الكفر والعناد، بمنزلة من هو أصم أبكم أعمى فأحدث صوت " الميم " في نهاية هذه الكلمات للنغم الموسيقي وقعًا.

قال تعالى: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ...) (الحديد: 12).

وهو نور يعطى للمؤمنين والمؤمنات بقدر أعمالهم الصالحة، ويكون لذلك النور مطارح شعاع يمشون فيها والنور يسعى بين أيديهم، ويحيط جميع جهاتهم.

ويقال: وبأَيمانِهم كتبهم. بُشراكمُ اليَومَ جَنَّاتٌ أي بشارتكم اليوم– من الله جنات. وكما أن لهم في العرضة هذا النور فاليوم لهم في قلوبهم وبواطنهم نور يمشون فيه، ويهتدون به في جميع أحوالهم، قال صلى الله عليه وسلم: "المؤمن ينظر بنور الله" وقال تعالى: "قَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ وربما ينبسط ذلك النور على من يقرب منهم. وربما يقع من ذلك على القلوب قهرا– ولأوليائه– لا محالة– هذه الخصوصية[39]. ورد حرف الميم في الآية الكريمة تسع مرات وهو حرف متوسط بين الشدة والرخاوة وحرف الميم، حرف نوراني، وسر ملكوتي، والاسم منه: ملك، وهو اسم جليل القدر، دلت الآية على أن الإيمان نور عقلي يخرج به النفس من القوة والنقص إلى الفعل والكمال، ويرتقي من عالم الأجسام والظلمات إلى عالم الأرواح والأنوار، ويستعد للقاء الله تعالى، وذلك النور هو المسمى عند الحكماء السابقين بالعقل بالفعل، وقالوا: إن النفس بسبب مزاولة العلوم العقلية اليقينية يصير ذاتها عقلا قدسيا صائرة نورا إلهيا من حزب الملائكة المقربين[40]. فاستثمر صوت الميم في تفسير الآية الكريمة وترابط اجزائها.

قال تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (النحل: 58 . 59)

استولت عليهم رؤية الخلق، وملكتهم الحيرة، فحنقوا على البنات مما يلحقهم عند تزويجهن وتمكين البعل فيهن.. وهذه نتائج الإقامة فى أوطان التفرقة، والغيبة عن شهود الحقيقة. ثم قال: "أَيُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ" أي يحبس المولود إذا كان أنثى على مذلّة، "أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ" ليموت؟ وتلك الجفوة فى أحوالهم جعلت– من قساوة قلوبهم فى أحوالهم– العقوبة أشدّ ممّا كانت بتعجيلها لهم. وجعلهم فرط غيظهم، وفقد رضائهم، وشدة حنقهم على من لا ذنب له من أولادهم– من أهل النار فى دركات جهنم، وتكدّر عليهم الوقت، واستولت الوحشة.. ونعوذ بالله من المثل السوء [41] تكرر حرف الميم الاغن حوالي عشر مرات في الآية الكريمة، إذ تبيّن الآية المباركة هؤلاء القوم وما أصابهم من الغمّ والهمّ بسبب ما رزقهم الله تعالى من البنات.ويظهر صوت الميم الأغنّ، أنين الرجل الّذي انعكس ما بداخله على الوجه، فاسودّ وأكفر، وجاءت كلمة " يتوارى" تبين أنّ هذا الرجل يصارع، لأن يخفيَ ما نزل به من غمّ، ممّا يعتقد أنّه فاضحه[42]، فحرف الميم يدل، بشكل أو بآخر، من خلال ايحاءاته الصوتية على المعنى في الآية، فنلاحظ مدى التناسب والارتباط بين هذا الصوت وبين معاني الآية الكريمة.

قال الله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) (الرعد: 17).

هذه الآية تشتمل على أمثال ضربها الله لتشبيه القرآن المنزّل بالماء المنزّل من السماء، وشبّه القلوب بالأودية، وشبّه وساوس الشيطان وهواجس النّفس بالزّبد الذي يعلو الماء، وشبّه الخلق بالجواهر الصافية من الخبث كالذهب والفضة والنحاس وغيرها، وشبّه الباطل بخبث هذه الجواهر. وكما أن الأودية مختلفة في صغرها وكبرها وأن بقدرها تحتمل الماء في القلة والكثرة– كذلك القلوب تختلف في الاحتمال على حسب الضعف والقوة. وكما أن السيل إذا حصل في الوادي يطهّر الوادي فكذلك القرآن إذا حصل حفظه في القلوب نفى الوساوس والهوى عنها، وكما أنّ الماء، قد يصحبه ما يكدره، ويخلص بعضه مما يشوبه– فكذلك الإيمان وفهم القرآن في قلوب المؤمنين حين تخلص من نزغات الشيطان ومن الخواطر الرّديّة، فالقلوب بين صاف وكدر[43]. في هذه الآية الكريمة يبرز صوت " الميم " كصوت مميز الحضور حيث كرر في الآية حوالي ثلاث مرات، وبالرجوع الى صفات صوت الميم فإنه صوت متوسط بين الشدة والرخاوة، والميم: هو ناطر الحق، الذي أنزله الله تعالى من السماء إلى الأرض في الماء، إشارة لقوله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) أي بمعنى أنزل من سماء روح القدس ماء العلم فسالت أودية القلوب بقدر استعداداتها فاحْتَمل سيل العلم زبداً من خبث صفات أرض النفس ورذائلها ودناياها، فاستثمر صوت الميم ايضاح دلالة الآية الكريمة وانسجامها ويقال إن الأنوار إذا تلألأت فى القلوب نفت آثار الكلفة، ونور اليقين ينفى ظلمة الشك، والعلم ينفى تهمة الجهل، ونور المعرفة ينفى أثر النكرة.

قال تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ)(آل عمران: 26).

"اللهم" معناها يا الله والميم في آخرها بدل عن حرف النداء وهو يا. فهذا تعليم الحق كيفية الثناء على الحق، أي صفني بما أستحقّه من جلال القدر فقل: يا مالك الملك لا شريك لك ولا معين، ولا ظهير ولا قرين، ولا مقاسم لك في الذات، ولا مسهم في الملك، ولا معارض في الإبداع. تُؤتي المُلك من تشاءُ وتنزعُ المُلك ممن تشاءُ. حتى نعلم أن الملك لك، والملك من المخلوقين من تذلل له، ومنزوع الملك ممن تكبر عليه فتجمل الخلق في تذللهم للحق، وعزهم في محوهم فيه، وبقاؤهم في فنائهم به وتعز من تشاء بأن تهديه ليشهدك ويوحدك، وتذل من تشاء بأن يجحدك ويفقدك[44].

تكرر حرف "الميم" في الآية الكريمة حوالي عشر مرات وهو حرف شفهي يجمع الناطق به شفتيه، فحرف الميم يدل، بنحو أو بآخر، من خلال ايحاءاته الصوتية على المعنى،

فقد الحقت " الميم" في آخر اسم " اللهم " الذي يُسأل به المولى عز وجل في كل حاجة وكل حال. إيذاناً بجمع أسمائه الحسنى والصفات العلى بأسمائه وصفاته فأتى بحرف الميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم. إيذانا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها. فقد دل صوت الميم على المناسبة بين اللفظ ومدلوله، في الآية الكريمة.

قال تعالى: (إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ * لا يَأْكُلُهُ إِلا الْخَاطِئُونَ) (الحاقة:33 ـ 37)

إنه كان لا يؤمن بالله أي: كل ذلك بسبب كفره واحتجابه عن الله وعظمته وشحه لمحبّة المال فليس له اليوم ها هنا حميم لاستيحاشه عن نفسه فكيف لا يستوحش غيره عنه وهو متنفر عن كل أحد حتى عن نفسه؟ ولا طعام إلاَّ من غسالات أهل النار وصديدهم قد شاهدناهم يأكلونها عياناً[45].

تكرر في الآية الكريمة صوت " الميم " تسع مرات، وهو صوت مجهور، وقد شارك صوت" النون " في هذه الآية ايضا حيث ورد حوالي تسع مرات ولهما النسبة الاعلى في هذه الآية وهما صوتان مجهوران، وتتذبذب الأوتار الصوتية عند نطقها، فضلا عن تقارب مخرجيهما مما يضفي عليها تقاربًا آخرا، فهي أصوات أنفية لثوية، وعالية في الوضوح السمعي، وتترك تأثيرا في أذن السامع، وهذا يدل على وجود علاقة صوتية بين (الميم والنون) في الآية الكريمة، التي ترسم لنا دلالة الآية وهو انحصار حال الظالمين من كثرة الذنوب التي التصقت بهم، يقول ابن عربي في الميم: " واعلم أن ما ينتظم بالنون معنى حرف الميم لأنه تمام ما يظهره النون، وهو اسم لتمام ما ينتهي إليه ظهور كالظهور العلي الذي منه اسم الملك، وهو المتجلي للخلق يوم الدين وهو تمام ما تنزلت إليه الإلهية، ولم يقسم الحق تعالى باسم دون الملك كالوزير ونحو... [46].

قال تعالى: (الم *اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)(آل عمران: 2).

إذ يشير الى الحروف المقطعة في أوائل السور باعتبارها أسرارا لا يدرك كنهها إلا العارفون، ويعرّف ابن عربي الأسرار بقوله: " عِلمُ نفثِ روح القدس في الروع، العالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها وليس بصاحبها، فهو العلم المحيط الحاوي على جميع المعلومات التي تتنزل من اللوح المحفوظ، وما بقي إلا أن يكون المخبر عنه صادقا عند السامعين معصوما [47]".

ألف: أنا الله، ولام: جبريل،وميم: محمد ولذلك كانت الحروف الثلاثة جامعة للوجود كله عينًا وسمعًا إلهية، وخلقا ولذلك كانت هذه الحروف الثلاثة جامعة لما فسر بالكتاب العزيز كله، وما فسر باسمه العظيم[48].

فهو الذي لا يلهو فيشتغل عنك، ولا يسهو فتبقى عنه، فهو على عموم أحوالك رقيب سرّك إن خلوت فهو رقيبك، وإن توسطت الخلق فهو رقيبك، وفى الجملة– كيفما دارت بك الأحوال– فهو حبيبك[49].

في هذه الآية يسيطر صوت " الميم" سيطرة تامة، حيث ذكر في نهاية كل آية وبالرجوع الى صوت " الميم" فانه صوت متوسط بين الشدة والرخاوة، مما يسمى بالأصوات المتوسطة، ويتكون حرف الميم بأن يمر الهواء بالحنجرة أولا فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك وفي أثناء تسرب الهواء تنطبق الشفتان تمام الانطباق[50]، فصوت " الميم" معناه القسم بالله العليم الحكيم، إذ جبريل مظهر العلم، فهو اسمه العليم. ومحمد مظهر الحكمة، فهو اسمه الحكيم. ومن هذا ظهر معنى قول من قال: تحت كلّ اسم من أسمائه

تعالى أسماء بغير نهاية. والعلم لا يتمّ ولا يكمل إلا إذا قرن بالفعل في عالم الحكمة الذي هو عالم الأسباب والمسببات، فيصير حكمة. ومن ثم لا يحصل الإسلام بمجرّد قول: لا إله إلا الله، إلا إذا قُرِنَ: بمحمد رسول الله. وهو حرف نوراني، وسر ملكوتي، والاسم منه: ملك، وهو اسم جليل القدر، فقد اسهم صوت الميم بإيحاءات لتوضيح دلالة الآية الكريمة وترابطها وانسجامها.

ومن آياته قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبرَى﴾ (النازعات:34).

الطَّامةُ: الحَادثةُ، أَو الوَقعةُ التي تَطِمُّ، أَي تَعلُو وتغلِبُ بِمعنَى تَفوقُ أَمثالهَا مِنْ نوعِهَا بحيثُ يَقِلُّ مِثلهَا في نَوعِهَا، مأخوذٌ منْ طمَّ الماءُ، إِذا غمرَ الأَشيَاءَ وهذا الوصفُ يُؤذنُ بالشِّدةِ والهولِ إِذ لَا يقالُ مثلهُ إِلَّا في الأمورِ المهولةِ ثم بولغَ في تَشخيصِ هَولهَا بأنْ وصِفت بالكُبرى فكانَ هذا أَصرحَ الكلمَاتِ لتَصويرِ مَا يقارن هذه الحادثةَ منَ الأَهوالِ.

والمرادُ بالطَّامةِ الكُبرى: القيامةُ وقد وصِفَت بأوصَافٍ متعددة في القرآنِ مثلَ الصَّاخةِ والقَارعةِ والرَّاجفةِ ووصِفَت بالكُبرى[51]. إنّ صوت الميم المجهور الشديد الوارد في لفظة الطّامة الدّالة على يوم القيامة يعبّر عن هول ذلك اليوم، وتشعرنا بحركة الطّم المناسب لهول وقوّة وشدّة يوم القيامة، أي: تجلى نور الوحدة الذاتية الذي يطمّ على كل شيء فيطمسه ويمحوه[52]. فالميم: هو ناطر الحق، الذي أنزله الله تعالى من السماء إلى الأرض في الماء0 فكان صوت الميم معبّر بايحاءاته عن تلك الصورة المروعة.

قال تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذا هَوى * ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى) (النجم: 2.1)

يعني أقسم بنجوم القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ويقال هي الكواكب التي ترمى بها الشياطين. ويقال أقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من المعراج. وجواب القسم قوله: " ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى": أي ما ضلّ عن التوحيد قط، " وَما غَوى": الغيّ: نقيض الرّشد.. وفي هذا تخصيص للنبى صلى الله عليه وسلم حيث تولىّ- سبحانه – الذّبّ عنه فيما رمى به، بخلاف ما قال لنوح عليه السلام وأذن له حتى قال: " لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ " الاعراف: 61، وهود قال: " لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ " الاعراف:67.. وغير ذلك، وموسى قال لفرعون: "وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً" الاسراء: 102. وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم: "ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى": معناه ما ضلّ صاحبكم، ولا غفل عن الشهود طرفة عين[53].

تكرر صوت الميم في الآية الكريمة حوالي اربعة مرات، فحرف الميم يدل بنحو أو بآخر من خلال ايحاءاته الصوتية على المعنى المعجمي للكلمة. وهو حرف نوراني، وسر ملكوتي، والاسم منه: ملك، وهو اسم جليل القدر 0هو ناطر الحق، الذي أنزله الله تعالى من السماء إلى الأرض، وهذه الدلالة يمكن ان تتداعى في ذهن المتلقي في اثناء انصاته لهذه الآية، فنلاحظ مدى التناسب والترابط بين هذا الصوت والمعنى الدلالي للآية (والنَّجم إذا هوى) أقسم بالنفس المحمدية إذا فنيت وغربت عن محل الظهور وسقطت عن درجة الاعتبار في الظهور

والحضور، فدلة كلمة النجم على محمد صلى الله عليه وسلم إذا رجع من السماء. فاستثمر صوت الميم في ذلك كون " الميم" معناه القسم بالله العليم الحكيم، إذ محمد مظهر الحكمة، فهو اسمه الحكيم. فادى هذا الى تناسق الآية الكريمة وانسجامها.

الخاتمة:

أما الخاتمة فقد أودعت فيها ما توصلت إليه من نتائج أوجزها في الآتي:

- الملاحظ على تأويلات ابن عربي أنها مبنية على مبدأ الظاهر والباطن، فكل شيء عنده متكون من ظاهر ليس هو المقصود، ومن باطن هو المقصود عند أهل الباطن، وعليه جاءت تأويلاته بعيدة وفي كثير من المواطن مخالفة لآراء كثير من العلماء والفقهاء.
- إن تباين دلالات الآية القرآنية واختلافها مرده الى اختلاف المعرفة الصوفية التي لا تحد بالحد، فهي الى لا نهاية، وكل صوفي له قدر منها يختلف باختلاف مقامه وحاله.
- التفسير الصوفي ينقسم على قسمين: نظري مبني على نظريات فلسفية، وهو ما لا يقبل أبداً، والتفسير الاشاري ويمكن أن يقبل بشروط على اعتبار أنه نوع من الاستنباط من الآية أو القياس عليها وإلحاق النظير بالنظير، لا على أنه معنى الآية، ويختلف التفسير الصوفي المعتدل مع التفسير الباطني في أنه يؤمن بالمعنى الظاهر ويظهر أنه المراد من الآية.
- يستند التفسير الصوفي أساسا الى تقسيم الصوفية للقرآن الى ظاهر، وباطن وهو ما وراء النص من إشارات، وهو عندهم من علم الباطن، والذي يختلف عن العالم الظاهر في مصادره ووسائله ومضمونه.
- أثرت الأفكار الصوفية في تفسير بعض الآيات، وتحريف دلالاتها، وقد تأثر بهذه الأفكار مجموعة من المفسرين، مما أدى بهم في الوقوع في أخطاء في التفسير.

الهوامش:

1. ينظر: استخدامات الحروف العربية، سليمان فياض، ص١٠٩
2. المرجع نفسه، ص109
3. المرجع نفسه، ص١٠٩
4. الصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص61
5. المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، ابن عربي، ص٢٢٥
6. المصدر نفسه، ص٢٢٥
7. موسوعة الكسنزان، الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني،19 / 103

8 . المصدر نفسه، 19 / 103
9 . المصدر نفسه، 19 / 103
10 . المصدر نفسه، 19 / 103
11. تفسير ابن عربي، لمحي الدين بن عربي، 4 / 253
12. المصدر نفسه، 3 / 296
13. الاسلوبية والصوفية، اماني سليمان داود، ص89
14. تفسير ابن عربي، 4 /376
15. المصدر نفسه، 3 / 25
16. لطائف الاشارات،2 / 54
17. لطائف الاشارات، للقشيري، 3 / 212
18 . المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، ابن عربي، ص٢٢٥
19. اسرار الايات، للشيرازي،ص31
20 . لطائف الاشارات، 2 / 266
21 . تفسير ابن عربي، 2 / 247
22. لطائف الاشارات، 3 / 656
23. اسرار الآيات،ص13
24 . لطائف الاشارات، 2 / 523
25 . تفسير ابن عربي، 3 / 81
26. اسرار الآيات، ص10
27 . استخدامات الحروف العربية، سليمان الفياض، ص106
28. المرجع نفسه، 106
29 . الاصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص44
30. المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، لابن عربي،ص232
31 . ترجمان الاشواق، لابن عربي، ص١٥٢
32. موسوعة الكسنزان، الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني، 18 / 252
33 . المصدر نفسه، 18 / 252
34 . المصدر نفسه، 18 / 251
35. لطائف الاشارات، للقشيري، ص1 / 362
36. المصدر نفسه، ص 3 /567
37 . المصدر نفسه، 1 / 66
38 . تفسير ابن عربي، 1 / 20
39. لطائف الاشارات، 3 / 537
40. تفسير الآيات، ص28
41 . لطائف الاشارات، 2 / 303
42. ينظر: التحرير والتنوير،14 / 185

43. لطائف الاشارات، 2 / 224
44. المصدر نفسه، 1 /230
45. تفسير ابن عربي، 4 / 263
46 ـ ترجمان الاشواق، لابن عربي، ص١٥٢
47. الفتوحات المكية،ابن عربي،٤٢٣
48. المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، ابن عربي،ص54
49. لطائف الاشارات، للقشيري، 1 / 218
50 ـ الاصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص44
51. التحرير والتنوير، 30 / 90
52 ـ تفسير ابن عربي، 4 / 315
53. لطائف الاشارات 3 / 480

المصادر والمراجع

ما بعد القرآن الكريم

- استخدامات الحروف العربية، معجميًا، صوتيًا، صرفيًا، نحويًا، كتابيًا، سليمان الفياض، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1998م0
- اسرار الآيات، صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي، تصحيح: محمد خواجوى، تهران،١٤٠٢هـ
- الاصوات اللغوية، دكتور إبراهيم انيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر.
- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.
- ترجمان الاشواق، الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن عربي الطائي الحاتمي (ت٦٣٨هـ).
- تفسير ابن عربي، الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن عربي الطائي الحاتمي (ت٦٣٨هـ).
- الفتوحات المكية، الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن عربي الطائي الحاتمي (ت٦٣٨هـ)، ضبطه وصححه، أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط30

- المبادي والغايات في معاني الحروف والآيات، الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن عربي الطائي الحاتمي (ت٦٣٨هـ)، تحقيق وتقديم: سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٧١

موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، إعداد السيد الشيخ محمد بن الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني، 1426هـ – 2005 م، المكتبة / دار المحبة، سوريا – دمشق.